عرض كتاب:

مقالة في تربية التحرير

تأليف/ سيد أحمد عثمان

تقديم وعرض/ محمود عبد الحليم منسي
أستاذ علم النفس التربوي كلية التربية جامعة السلطان قابوس

مقدمة:

هذا عرض موجز للكتاب الذي نشرته مكتبة الأنجلو المصرية عام ٢٠٠٥م، وهو يمثل فكرا جديدا في مجال التربية ويتضمن بين جنباته توجهات جديدة وآراء تربوية إبداعية لا تقل في قيمتها عن آراء المبدعين السابقين في مجال التربية مثل جون ديوى وسكنر من حيث مستوى جودتها وأهميتها. والقارئ المتفحص لسطور هذا الكتاب يرى أنه يتضمن أفكارا إبداعية عديدة كل منها يحتاج إلى دراسة جادة.والكتاب يمثل وجبة شهية للباحثين الجادين الذين يرغبون في معرفة دور التربية في تحقيق النضج الذاتي للأفراد بشتى مجالات النمو النفسي والاجتماعي والمعرفي والأخلاقي.

يقع الكتاب في ٦٢ صفحة ويتناول دور التربية في تحرير الإنسان حتى يتمكن من تحقيق ذاته في ضوء نضجه الاجتماعي ورشده الثقافي،حيث تعرض المؤلف إلى مصطلح جديد أطلق عليه اسم الذاتية الاجتماعية (identity) التي تتميز بالتراحم والترحيب والتواصل والتفاعل والتدرج للترقي، بالإضافة إلى تعرضه إلى مصطلح جديد آخر أطلق عليه اسم الرشد الثقافي للذات الذي يتمثل في يقظة الذات ثقافيا ونقائها واصلتها وتأصلها واستيعابها ورجانها لثقافتها.

والمقصود بتربية التحرر هنا هو تربية الإنسان ذات الفكر المتحرر الذي يتميز بالإبداع و المرونة وتقبل الرأي الآخر ويستطيع التوافق مع مجتمعه ويتعايش مع الآخرين بتوافق وانسجام.
ويؤكد المؤلف أن تربية التحرر بالمعنى سالف الذكر لابد أن تكون ذاتها متحررة من الجوانب السلبية التي تتمثل فيما يلي:

- النزعة إلى التشييىء:

أي التعامل مع الإنسان على أنه شيء، وذالك باختزال وجوده المتميز والمتفرد بالتعامل معه على أنه كيان ثابت وجامد مثل بقية الأشياء الموجودة في الطبيعة.

- النزعة إلى التسليع:

أي النظر إلى الإنسان على أنه سلعة أو منتج، وهذه النزعه نتجت عن هيمنة الفكر الاقتصادي على التربية حيث اعتبرت الإنسان ناتجا تربويا ذات مستوى جودة معين.

- النزعة إلى الترقيم:

وهي التي يتحول من خلالها الإنسان إلى رقم، حيث يتم طمث الملامح، وابهام المعالم، والغاء التفرد، وتجهيل ما يدل على الخصوصية الذاتية.

- النزعة إلى الآلية:

أي النظر إلى الإنسان على أنه آلة، وذلك بتشكيله تشكيلا آليا يجعله يدمن الاستغراق في مصاحبة الآلة ومعايشته لها، وبالتالي ينحصر في حلقة معزولة اجتماعيا مثل إدمان التفاعل مع الكمبيوتر.

- النزعة إلى عدم اعتبار الإنسان غاية في ذاته:

أي تحويله إلى أداة أوسيلة لتحقيق غاية غريبة عنه.

فإذا تحررت التربية من هذه النزعات فإنها لابد وأن تبرأ من نزعات أخرى أعم وأعمق من النزعات السابقة وهى النزعات غير الشخصية وغير الإنسانية وغير الأخلاقية.

وقد بين المؤلف دور التربية في تحرير الذاتية وتحقيقها، حيث يعنى بالذاتية أنها النتاج المتفرد الذي تصنعه الذات(أ) وتصونه وتتعهد من حيث التوكيد والتنمية، وتساعد تربية التحرر على تحقيق الذاتية من خلال الممارسات التالية:

١. تحرير الطاقة النفسية للإنسان من حيث انطلاقها وتنظيما وانتظامها واحكامها وحكمها ورشدها وصونها.
٢. رعاية حرمة وجود الذاتية.
٣. استطاعة الذاتية رفع قدرتها(ب) إلى اقتدارها(ج).
٤. توفير مجالات لإثراء وتنمية الذاتية.
٥. تحقيق الذاتية بما تجعلها تبرز وتتفرد وتتفتح وتتألق.
٦. تيسير التحقق الداخلي (د) للذاتية من خلال تنمية مقومات بنائها الداخلي من حيث التكوين والوظيفة والعمليات وهذه المقومات تتشكل في ثلاث فئات هي المصدر أو الدافع والتأهب للظهور والتنفيذ لكل جوانب تحقيق الذاتية.

هذا ويؤكد المؤلف على أن تحقيق الذاتية لا يضعف اجتماعياتها ولا يعطل ثقافتها ولكن ينتقل بها إلى نضج اجتماعي ورشد ثقافي كما أوضح أن نضج الذاتية اجتماعيا يتمثل في:

- التراحب (هـ) أي اتساع الذاتية وتجاوز كل مدى لتستوعب كل الوجود ويتحقق ذلك بتحرك الذاتية على مسارات نضجها.
- التدرج للترقي والعلو.

كما أوضح أن الرشد الثقافي يتمثل في يقظة الذاتية الثقافية ونقائها وأصالتها وتأصلها واستيعابها ورجائها لثقافتها.

وقد عرض المؤلف لتربية التحرر في علاقتها باجتماعية الذاتية وأكد على أنه لتحقيق الذاتية لابد من اجتماعياتها التي لا تعطل ثقافتها بل

تنتقل بها إلى نضج اجتماعي ورشد ثقافي، وأكد على أن نضج الذاتية الاجتماعية يتمثل فيما يلي:

١- التراحب ٢- الترحيب
٣- التواصل ٤- التفاعل
٥- التدرج في العلو.

كما أن الرشد الثقافي يتمثل في :
١- يقظة الذاتية ثقافيا.
٢- نقاء الذاتية.
٣- أصالة الذاتية وتأصلها.
٤- استيعاب الذاتية لثقافتها وتمثله إياها.
٥- رجائها ثقافيا.

وتعرض الكاتب لمصطلح فعالية الذاتية وتناول نوعين من الفعالية الذاتية هما الفعالية العامة والفعالية النوعية أو فعالية حقيقية صادقة وفعالية صورية زائفة. فالفعالية العامة والتوعية هي نتاج منظومات نفسية تسهم في صوغها وتوجيهها فهي منظومة الوغى والدراية ومنظومة الإرادة والاختيار ومنظومة التنفيذ والداء ومنظومة الإقبال والذوق وقد تنشأ في كل منظومة منها منظومات فرعية ويمكن أن نستنتج خصائص فعالية الذاتية من نتاج عمليات هذه المنظومات وهذه الخصائص هي :

١. استيعاب المعرفة والدراية.
٢. رشد الرادة والاختيار.
٣. ارتفاع الهمة وهمامة الأداء.
٤. الإتقان.
٥. تألق الإبداع .

وهذه الخصائص هي خصائص نشيطة وفارقة إذ تميز بين الفعالية الصادقة والفعالية الزائفة التي تمثل نوع من الكفاءة المظهرية أو الاقتدار المصطنع أو الحذق المخادع. ويمكن تفسير فعالية الذات وتشكيلها

ووظيفتها ودورها في ضوء تضافر مجموعتين من العوامل منها ما هو نتاج الخبرات الذاتية السابقة للفرد ومنها ما هو ناتج عن السياق الثقافي الاجتماعي السائد.

وقد عرض المؤلف بعض مميزات تربية التحرر في تعاملها مع فعالية الذاتية وتشكيلها على النحو التالي:

١. أنها لا تقتصر على فعالية الذاتية دون سائر جوانب الذاتية الأخرى.
٢. أنها تركز على المنظومات النفسية.
٣. أنها تستخدم أساليب لغوية تعاونها وسائل أخرى.
٤. رجاء الذاتية أي سعيها لأن تكون صادقة ومرنة واعلانها لقيمة الذاتية.
٥. أنها تستثمر المواقف المربية في واقعيتها واجتماعياتها ومباشرتها وكليتها.
٦. أنها ترى الموقف المربى لا ينفى اجتماعية الذاتية.
٧. أنها تواجه الفعالية الزائفة بمقاومة العناصر السلبية في المنظومة النفسية والتعامل مع الجانب الذاتي للخبرات السابقة والجانب السياقي الثقافي الاجتماعي للفرد.

كما تناول المؤلف موضوع الأخلاقية الذاتية التي أكد أنها ليست غائية في عمل تربية التحرر والتي تهدف إلى الارتقاء الأخلاقي للذاتية. وللنهوض بأخلاقية الذاتية يتم إتباع ما يلي :

١. تدريب رهافة الحس الأخلاقية وحدسها.
٢. تيسير العمليات التنفيذية والأدائية للذاتية في تعاملها مع المواقف الأخلاقية الواقعية.
٣. تنشيط عمل وعمليات المنظومة الإرادية والاختيارية للذاتية.
٤. مراعاة خصوصية الذاتية المشاركة في الموقع الاجتماعي المباشر.
٥. جمالية وجمال الأخلاقية.
٦. أولوية التوجيه الذاتي للأخلاقية.

واخيرا عرض المؤلف لابداعية الذاتية من خلال تربية التحرر وذكر أن التحرر هو روح الإبداع فهو يشمل الإبداع ويساعد على تنميته من خلال ما يلي:

١. كفاءة التدبر من خلال الطاقة النفسية.
٢. تدريب الذاتية على التراحب والتدفق والتلقائية.
٣. تنشيط تواصل الذاتية مع منابع الخصوبة والتجدد.
٤. حث الذاتية على المحاورة واستنهاض الإرادة.
٥. توفير التوازن في الثقة بالقدرة الإبداعية.
٦. بث طمأنينة وعى الذاتية.
٧. إحياء الرجاء الإبداعي في قلب الذاتية.

وتمثل تربية التحرر ذروة الارتقاء التربوي فكرا وموقفا وممارسة. حيث تتضح في المشاركة لصياغة الذاتية وتنميتها في اتجاه تفردها النفسي من حيث الوعي والإرادة والذوق والخصوصية، وجعل وجودها ذا معنى وقيمة لتيسير اهتداء الإنسان إلى سبيل تحقيق إنسانيته الراقية بالإنجاز، والاهتداء إلى تحقيقه لذاته من خلال الإنجاز الإنتاجي والتحصيل المعرفي والقدرة المهارية إضافة إلى الإنجاز القيمي الأخلاقي والتحصيل المعرفي الذوقي والقدرة على التواصل الصادق مع ذاته ومع ذوات الآخرين في كون يأتلف معه في تناغم ويئتنس بمن يعيشون فيه بتراحم.

الهوامش:

أ- الذات: Self

ب- القدرة: حسن الاختيار واستقامة الفعل وإتقان الأداء

جـ الاقتدار: حكمة الاختيار ونزاهة الفعل وإبداع الأداء

د- الذاتية: تشمل على الثقة والتفرد والاستقلال والإقدام والمرونة والمثابرة والتجدد وهذه الصفات تمثل الملامح الأساسية للذاتية(الهوية)

هـ- التراحب :الأتساع وتجاوز كل مدى لتستوعب كل الوجود وتسعى تربية التحرر على تحقيق هذا الاتساع حتى تتحرك الذاتية على مسارات نضجها .ويساعد الترحيب على تحول التراحب من آلية الضم والاحتواء إلى تحررية التلاقي مع الذاتيات الأخرى ودعوتها إلى مشاركتها.